الباب الأول
حرستا في اللغة والمفهوم

الفصل الأول: حرستا في الوطن العربي.

الفصل الثاني: حرستا في غوطة دمشق.

الفصل الثالث: ضبط الاسم.

الفصل الرابع: سبب تسمية حرستا.

الفصل الخامس: حرستا بلد الزيتون.

الفصل السادس: النسبة إليها.

الفصل الأول
حرستا في الوطن العربي

كثيراً ما يرد اسم بلدة من البلدان في أكثر من منطقة، فقد نجد اسم بلدة ما في سورية ومصر واليمن وغير ذلك. فمثلاً ورد اسم بلدة حرستا أيضاً في أماكن متعددة من الوطن العربي بأشكال مختلفة، نذكر منها:

1 - في سورية:

آ ـ حَرَسْتا: ذكرها ياقوت الحموي فقال: «حرستا بالتحريك وسكون السين، وتاء فوقها نقطتان، وهي قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ»[1]. وهي مدار بحثنا في هذا الكتاب.

ب ـ حرستا المنظرة: هي قرية من قرى غوطة دمشق، وتلفظ عند الغوطيين[2] (حرستا القنطرة).

جـ ـ حرستا: قرية من قرى حلب، وفيها حصن عظيم، ومياه غزيرة.

2 - في مصر:

ورد اسم (حَرَسُ): بالتحريك، وهي قرية شرقي مصر. قال الدار قطني: محلة بمصر، والحرس في اللغة: حرسُ السلطان وهو اسم جنس واحده حَرس بمعنى الحراسة، ينسب إليها أبو يحيى زكريا بن يحيى بن صالح القضاعي الحرسي.

3 - في نجد:

ورد اسم (حَرْسٌ)، والحرس في اللغة: سرقة الشيء من المرعى، والحرس الدهر. قال بعضهم: «في نعمة عشنا بذاك حَرْسا».

---

(1) معجم البلدان: (2/ 241 ـ 242). والفرسخ: هو الطويل من الزمان، وفَرْسَخُ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل اثنا عشر ألف ذراع، وهي تقريباً ثمانية كيلومترات (فارسية).

(2) الغوطيين: هم أهل بلاد الغوطة الشرقية والغربية.

الفصل الثاني
حرستا في غوطة دمشق

الغوطة[1] هي المنخفض من الأرض تقع جنوب إلتواءات القلمون وفي الشرق من جبل الشيخ، أي في الزاوية التي تلتقي فيها الإلتواءات التدمرية بسلسلة لبنان الشرقية. وهذا المنخفض عبارة عن حوض بناء ككل الأحواض التي تسبق السلاسل الجبلية الملتوية ردمتها اللحقيات الآتية من المناطق الجبلية المجاورة. والغوطة هي الكورة التي منها دمشق يحيط بها جبال عالية ولا سيما من شمالها. وهي أشجار وأنهار متصلة، وهي بالإجماع أنزه البلاد وأحسنها منظراً، وهي إحدى جنان الأرض الأربع.

وقد قسَّم المتقدمون الغوطة إلى خمسة أقسام بحسب السقيا، وجعلوا كل قسم إقليماً سمّوه بأشهر قرية فيه وهي:

1 ـ إقليم بيت لهيا الذي يشرب من نهر ثورا وهو يشمل: جوبر، زملكا، عربيل، حزة، مديرة، مسرابا، حرستا، دومة.

2 ـ إقليم داعية الذي يشرب من نهر الداعياني ويشمل: عين ترما، كفر بطنا، جسرين، سقبا، حمورية، بيت سوا.

3 ـ إقليم بيت الآبار الذي يشرب من نهر عقربا ويشمل: جرمانا، المليحة، عقربا، بيت سحم، البلاط، دير بحدل، زبدين، حديثة الجرش.

4 ـ إقليم باناس الذي يشرب من نهر بانياس ويشمل: ببّيلا، يلدا، قبر الست، حجيرة، بويضة.

---

(1) الغُوطَةُ: بالضم ثم السكون، وطاء مهملة، وهو من الغائط وهو المطمئن من الأرض، وجمعه غيطانٌ وقال ابن الأعرابي: الغوطة مجتمع النبات، وقال ابن شُمَيْل: الغوطة الوهدة في الأرض المطمئنة. قال ابن قيس الرّقيات:

أجَلَّكَ اللهُ والخليفةُ بالـ ـغوطةِ داراً بها بنو الحكم

المانعو الجارَ أن يضام، فما جارٌ دعا فيهم بمهتضم

وجنان الأرض الأربع هي: الصُّغْدُ والأبُلّة وشعب بوّان والغوطة، وهي أجلّها.
معجم البلدان، ياقوت الحموي: (4/ 219).

5 ـ إقليم داريا الذي يشرب من نهر الداراني ويشمل : كفر سوسة ، المزَّة ، القدم ، داريا ، بلاس ، حوش الريحانية ، سبينة .

والغوطة تخضع لمناخ شبه صحراوي حيث نجد فروق الحرارة واضحة بين الصيف والشتاء . وإنَّ معدل الأمطار تقريباً 250مم سنوياً ، وهذه الكمية لا تساعد أبداً على ازدهار حياة زراعية حضرية أبداً لولا وجود المياه المتدفقة من الجبال المجاورة .

وحوض دمشق هو أكبر واحة عُرفت منذ أقدم العصور في هذا الشرق ، فنشأت قرى قديمة قدم الواحة ، والآن فيها قرى عديدة تزيد عن أربعين قريةً . ونستطيع أن نلاحظ نوعين من القرى القائمة في حوض دمشق .

1 ـ قرى تقوم وسط البساتين تكتنفها وتظللها الأشجار فلا ترى من بعيد ، مثل : حرستا وعربيل وجوبر وكفر بطنا وسقبا والقابون .

2 ـ قرى تقوم على سفوح الجبال وأطراف الغوطة : مثل : برزة والمزة وداريا والقدم وجرمانا .

الموقع والتضاريس:

في شمال الغوطة وإلى الشمال الشرقي من دمشق وعلى مسافة قريبة منها وعلى ارتفاع 700م عن سطح البحر بنيت حرستا . وهذه الجبال التي تشرف عليها من الشمال والغرب تتمثل في عدة قمم منها : في الجنوب الغربي جبل قاسيون وارتفاعه 1149م ، ثم جبل الصالحية وارتفاعه 1078م ، وجبل المعَّاز وارتفاعه 1065م وهو الذي يفصلها عن قرية التل ، ثم جبل تل مصيدة وارتفاعه 1065م أيضاً ، ثم جبل رأس أبو زيد وارتفاعه 1001م وهو نهاية الشمال الشرقي ، أي أن هذه القمم تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ويكون ميل هذه الجبال شديداً على سهول برزة وخاصة من جهة الغرب . وأما من جهة الشرق فإن سهول برزة تتصل بأراضي حرستا بميل خفيف وأراضي حرستا تتصل بأراضي الغوطة ويقل هذا الميل كلما اتجهنا نحو الشرق .

ويفصل نهر يزيد بين أراضي حرستا وأراضي برزة من جهة الغرب . أما من جهة الشرق فتنفصل عن أراضي دومة بواسطة نهر الدومي وبطرق ضيِّقة وسواقي مائية عن كل من مسرابا ومديرة في الشرق ، وعربيل في الجنوب الشرقي ، والقابون في الجنوب . أما الشمال فتحدّها السفوح الجبلية مباشرة . وبصورة عامة فإن أرض حرستا تميل ميلاناً خفيفاً

من الغرب نحو الشرق فبينما يكون ارتفاع مجرى نهر يزيد في الغرب 725م عن سطح البحر، يبلغ ارتفاع البلدة 700م، كما يبلغ ارتفاع مجرى النهر الدومي 680م، ويبلغ ارتفاع نهاية حدود أرض حرستا في الشرق عند أرض مديرة 670م. أما الميلان بين الشمال والجنوب فيمكن أن نقول بأنه لا يوجد هناك أي ميل بسيط يسمح للمياه أن تسير بأقل انحدار ممكن حيث يكون ارتفاع الأرض عند القابون 705م وتصل هذه الارتفاعات إلى 695م في شمال حرستا، أي على مسافة 6 كيلومتر، وثم تعود للارتفاع بصورة بسيطة نظراً لاقتراب السفوح الجبلية فتبلغ 718م عند أقدام السفوح. وبصورة عامة نجد في حرستا بعض آثار سيول قديمة تسير من الغرب نحو الشرق، وأكثر مجاري هذه السيول قد أصبحت طرقاً مما يدل على أن المناخ كان أكثر رطوبة مما عليه الآن.

التربة:

إن تربة حرستا جزء من الغوطة، وتكون في الغرب أكثر غلظة وخشونة منها في الشرق بسبب قربها من السفوح، حيث نجد في الغرب أن الأحجار كثيرة ولكنها تقلّ تدريجياً حتى تزول تماماً في الشرق، فلا يوجد إلاّ فتات صخري ناعم بسبب بُعد المناطق عن الجبال.

فأرض حرستا منبسطة ومكتسية بالأشجار على مد البصر، وليس فيها تلال ومنخفضات، وتربتها طينية كلسية سوداء في الغالب، أو صفراء ضاربة إلى الحمرة، وليس فيها أراضي حجرية ولا مراعي وأعشاب، لأن معظمها مزروع أو مغروس دون انقطاع مما عزَّ نظيره في بلاد الشام قاطبة.

المناخ:

إن المناخ في حرستا هو المناخ نفسه في دمشق إذ نستطيع أن نعتبر حرستا حياً من أحياء دمشق، وعلى كل فلا بدّ من أن نلقي نظرة على مناخ دمشق التي تقع على هامش الصحراء، ويمكن القول بأن المناخ قاري ويدخل ضمن المناخ السوري الذي يشكل مرحلة انتقالية بين المناخ الساحلي والمناخ الصحراوي السائد في الداخل في هضاب وبوادي سورية والعراق، وهو إقليم بارد ماطر شتاءً جاف صيفاً.

وهناك عوامل عديدة تؤثر على هذه المنطقة فوقوعها خلف سلاسل جبال لبنان الغربية والشرقية حرمها من أثر رياح البحر المتوسط الملطفة والممطرة. ثم إن هناك انكشافها أمام الصحراء جعلها مسرحاً تمثل فيه الصحراء جميع أدوار القسوة والشدة في مختلف عناصر الرياح، فرياحها لافحة قارصة أو مضنية لاهبة، وهي في جميع الأحوال جافة لا تحمل سوى الغبار والرمال والجراد اللهم إلاَّ في بعض الأوقات حيث تستطيع الرياح البحرية أن تصل إلى هذه المنطقة وتجتاز سلاسل لبنان الغربية فعندئذٍ تهطل الأمطار وهذا ما يكون أيام الشتاء. وكذلك تؤثر على هذه المنطقة الرياح الجنوبية التي تمر على حوران، وهذه الرياح هي التي تحمل الأمطار في أكثر الأحيان وهذه الرياح شتوية أيضاً. أما الصيف فإنه حار شديد الجفاف، وتظهر فروق الحرارة واضحة بين الصيف والشتاء وكذلك بين الليل والنهار حيث لا يمكن للإنسان أن ينام في العراء ليلاً في الصيف دون تحفّظ، بينما يكون في النهار قد اكتوى بالحر.

وكمية الأمطار لا تكفي ولا تساعد على ازدهار حياة زراعية حضرية لولا وجود المياه المتدفقة من الجبال والتي يأتي بها نهر بردى بفروعه المتعددة ووادي (معربا)[1] الذي يشكل عند خروجه من جبل قاسيون مخروط انصباب (برزة)[2] والذي يعتبر بمثابة مركز تجمع لأشجار الزيتون في برزة.

إن جبل قاسيون الذي يحاذي الغوطة من أطرافها الشمالية ليس على ارتفاع كبير كي يحميها من لفحات البرد القاسية الشمالية الشتوية كما أن اتجاهه العام ليس من الغرب إلى الشرق بل من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لدرجة يسهل على تلك الرياح العبور، فموجة الصقيع التي حدثت عام 1950م وصلت إلى هذه المنطقة وأحدثت أضراراً بالغةً كما حدثت موجة أخرى عام 1952م كان لها أثر أكثر ضرراً من الأولى. ولا يزال الزيتون في حرستا يعاني من هذه الموجة التي أتلفت الأوراق والأغصان معاً.

---

(1) مَعْرَبا: قرية قريبة إلى دمشق، يحدها شرقاً أراضي التل وحرستا بينها وبين حرستا حوالي 6 كيلومتر، وهي واقعة بين جبال وهضاب قليلة الزراعة، وبيوتها مبنية على المرتفعات الجبلية علا بعضها فوق بعض وكأنها بنيت لأجل التحصن والدفاع. (الريف السوري، أحمد وصفي زكريا: 1/ 431).

(2) بَرْزَةُ: قرية من غوطة دمشق، تقع غرب حرستا وجنوب دمشق، وهي من أجمل قرى الغوطة هواءً وموقعاً وقرباً لدمشق، وشربها من نهر منين، وخرج منها جماعة من المحدثين. (معجم البلدان: 1/ 382) و(الريف السوري: 2/ 99).

الفصل الثالث
ضبط الاسم

ورد إسم هذه البلدة بثلاثة اتجاهات إملائية. وهي: (حرستة ـ حرستى ـ حرستا) ولكن رسمها صاحب القاموس[1] هكذا (حرستا). وقال: إنها بلدة بباب دمشق. وأهلها يلفظونها هكذا بالإمالة. وقد تعوَّد الناس أن يكتبوها بالألف الممدودة. وقد رسمها أيضاً ياقوت الحموي بالألف الممدودة وقال: (حَرَسْتا بالتحريك وسكون السين وتاء فوقها نقطتان)[2]. وقد وردت بهذا الشكل في معظم الكتب التاريخية والأدبية.

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ص 484 دار الفكر بدمشق.
(2) معجم البلدان: (2/ 241).

الفصل الرابع
سبب تسمية حرستا

تعدّدت آراء العلماء والباحثين حول سبب تسمية بلدة حرستا بهذا الاسم ونستخلص من تلكم الآراء ما يلي :

الرأي الأول : أن الشخص الذي بنى أول دير في حرستا هو الملك الغسّاني الثاني الحارث بن جَبَلَة[1] وسمي الدير على اسمه (دير الحارث).

الرأي الثاني : سميت حرستا بهذا الاسم لأن أراضيها من الجهة الشمالية والغربية غليظة وخشنة. وهو رأي ضعيف.

الرأي الثالث : حرستا بمعنى (الشمس) أو (حور) إسم إله[2].

وممن رجح الرأي الثاني المرحوم محمد كرد علي وقال : إن حرستا تعني خشنة[3].

---

(1) الحارث بن جبلة : هو أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام، وهو الذي حارب المنذر وانتصر عليه، وبسط سلطته على قبائل عربية كثيرة، واستمر ملكه نحو أربعين سنة. توفي سنة 570م. (الأعلام، خير الدين الزركلي : 2/ 153).

(2) منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب الحصني : (3/ 1058).

(3) غوطة دمشق، محمد كرد علي : ص 21.

الفصل الخامس
حرستا بلد الزيتون

هكذا دعاها ابن طولون الصالحي الدمشقي في رسالته وقال: (حرستا الزيتون وهي قرية كبيرة جامعة وهي في إقطاع النيابة كانت والآن صارت وقف التكية)[1].

وقال الوليد بن مسلم: ذكرت لعبد الرحمن بن آدم أمر الرايات السود فقال: سمعت عبد الرحمن بن الغاز بن ربيعة الجُرَشي يقول: إنه سمع عمرو بن مرة الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليخرجنّ من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين (بيت لهيا)[2] و(حرستا). قال عبد الرحمن بن الغاز: فقلنا له: والله ما نرى بين هاتين القريتين زيتونة قائمة! فقال عمرو بن مرة: إنه ستنصب فيما بينها؛ حتى تجيء أهل تلك الراية فتنزل تحتها وتربط بها خيولها. قال عبد الرحمن بن آدم الآزدي: فحدثت بهذا الحديث أبا الأَعيَسْ عبد الرحمن بن سلمان السلمي فقال: إنما يربطها أصحاب الراية السوداء الثانية التي تخرج على الراية الأولى منهم، فإذا نزلت تحت الزيتون خرج عليهم خارج فهزمهم[3].

وحرستا تمتاز عن باقي بلاد الغوطة بأشجار الزيتون الكبيرة والتي تغطي معظم أراضيها الزراعية، ويبلغ عمر بعض أشجار زيتونها قروناً، وعلى ذلك وجب أن يُطلق عليها حرستا بلد الزيتون.

وأما سبب تسميتها (حرستا البصل) لأنه جاءت عدة عائلات من قرية البصل[4] في الأندلس وسكنت بجوار حرستا وسمي الحي بالبصل. ولما توسعت حرستا انضم

---

(1) ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص 156 نشرها محمد أسعد طلس.

(2) (بيت لهَيا): هي قرية مشهورة بغُوطة دمشق، ونسب إليها كثير من أهل الرواية. معجم البلدان: (1/ 522).

(3) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور: (14/ 205).

(4) البَصَلُ: بلفظ البصل من الخضر الذي يؤكل ويطبخ، وهو إقليم البصل من إشبيلية من جزيرة الأندلس. وكَفْرُ بَصَل: من قرى الشام. معجم البلدان: (1/ 442).

هذا الحي إلى البلدة فسميت حرستا البصل. ووجدنا عائلتين في دمشق ودومة أصلهم من عائلة (البصل).

وذكر أحمد وصفي زكريا[1] أن سبب تسمية (حرستا البصل) كي تميز عن حرستا القنطرة الواقعة في جنوب غوطة دمشق، وحرستا لم تشتهر بزراعة البصل أبداً.

(1) الريف السوري، محافظة دمشق: (1/ 273).

الفصل السادس
النسبة إليها

يُنسب أهل حرستا على النحو الآتي :

1 ـ حرستي .

2 ـ حرستاني أو حرستاوي : وهو ما وجدناه في أكثر المراجع التاريخية .

3 ـ وتجمع : حرستانيون ، وحراستة .